التخصيص المفهوميّ في شكل المصطلح التراثيّ
(المصطلح النحويّ الكوفيّ أنموذجاً)

أ.م . د هناء عبد الرضا الربيعي

م.م هادي خلف القرناوي

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

مدخل:

يُقصد بالتخصيص المفهوميّ تخصيص لفظ من الألفاظ اللغويّة العامّة للدلالة على مفهوم خاصّ ومحدّد، له ارتباط بصورة معيّنة مع الدلالة اللغويّة الأولى لهذا اللفظ؛ ليصبح لاحقاً مصطلحاً ذا دلالة خاصّة، وتتّضح هذه المنهجيّة من خلال انتقال الدلالة المفهوميّة بين اللفظين.

ومسألة وضع المصطلحات من العلماء ينبغي أن تتحدّد أولاً من حيث هدفها، فهل كانت المصطلحات موضوعة لذاتها أو لفهم اللغة ؟ وهذه المسألة اختلف الباحثون فيها، فمنهم من يرى أنّها وضعت لذاتها، ومنهم من يرى أنّها وضعت لفهم اللغة، ولكن الأعمّ الأغلب يرى أنّها وضعت لفهم اللغة وبيانها للمتلقّي، ولا سيّما مصطلحات النحويّين التي لم يكن للعرب سابق عهد بها، فقد وضعوها لغرض تعليمي؛ لأنّ مرحلتهم لم تكن تسمح لهم بالشرح، والتوضيح، وبيان أسباب التسمية[1]، ووضع المصطلحات للتعليم في تلك المرحلة جاء نتيجة حاجة ملحّة من الإفهام ومعرفة المتلقين للغة العربية سواء من العرب أم من غيرهم؛ ولما تتصف به تلك العلوم من الجدّة وعدم المعرفة المسبقة بها، أو لما حصل من لحن عند العرب واختلاط المعرفة اللغويّة لديهم، فالهدف الأساس هو فهم اللغة الذي يمثّل أساس التعليم، فلا يمكن أن يُعرف شيء أو يُعلّم أمر معيّن ما لم يكن هذا الأمر مفهوماً، ومسألة وضع المصطلحات لذاتها أمر لا يتسق مع تلك المرحلة فضلاً عن أنّ المصطلحات وجدت أو وضعت لتمثّل أو تعبّر عن مفهوم معيّن.

ونحن نعرف أنّ معرفة الأصل الدلاليّ للألفاظ بصورة عامّة من ضروريّات اللغة العلميّة، وتتجلّى لنا هذه الضرورة وهذه الأهمية للمصطلح النحويّ كونه يمثّل المفتاح الرئيس لكلّ مسألة، فمعرفة الأصل الدلاليّ لكلّ مصطلح يعدّ كاشفاً ومبيّناً عن مفهوم المصطلح، ومن أين انبثق؟ وكيف استقرّ؟

إنّ أغلب مصطلحات النحاة مأخوذة من حاضر البيئة التي عاشوا فيها، ومن متعلّقاتها؛ لذلك شاع في استعمالاتهم التسميات الإصطلاحيّة المنبثقة من تسميات شاعت في بيئاتهم، مثل تسمية: (بناء)، و(إسناد)، و(وتد)، و(سبب)، و(مرقّل)، و(أخوات)، و(بنات)، و(وجه)، فهي مفاهيم شاعت وتمّ تداولها بينهم، وعُرفت واستعملوها في لغتهم، وهم على تماس مباشر معها، وبذا تكون مهمّة إيجاد نقاط الالتقاء بين المعنى الأصليّ للمصطلح، والمفهوم الذي انتقل إليه مهمّة سهلة يسيرة؛ فلا بدّ للوقوف على هذه المصطلحات من تحديد أصولها بحسب وجهة النظر في التخصص الدلاليّ– قدر المستطاع– والعودة بها إلى أرومتها وأصلها الذي أخذت منه، سواء أكان هذا الأصل لغويّاً، أم بيئيّاً، أم اجتماعيّاً، أم مجازياً[٢].

وفي الوقت نفسه نلحظ فيه أنّ من المصطلحات النحويّة ما لا يرتبط إرتباطاً مباشراً بالأصل البيئيّ أو المجازيّ، لكنّه يبقى محافظاً على أصله اللغويّ كي يحصل التواصل، فحصول التواصل النحويّ يتمّ في ضوء التعبير عن اللغة باللغة، فالنحويّون وصفوا مسميّات مصطلحاتهم من اللغة، ولولا اللغة ما حصل أيّ تواصل، ولتوقّفت وتعطّلت سبل التفاهم والمعرفة بين المعلّمين والمتعلّمين؛ لأنَّ اللغة وسيلة التواصل – مثلما هو معروف– وهو أمر يكشف المعنى الاصطلاحيّ الذي هو ((**إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد**))[٣].

وتعدّ قضية الوقوف على الدلالة الحقيقيّة للمصطلح النحويّ أمراً مهمّاً جدّاً؛ لأنّها تجيبنا عن الكثير من متعلّقات المصطلح، وبيان المراد منه، فلماذا سمّوا الفعل فعلاً ؟ ولم يسمّوه (عملاً) ؟ وما الفرق بين (الفعل)، و(الحدث)، أو بين (الفاعل)، و(العامل)، ويتمّ ذلك في ضوء منطلقات المصطلحات لغويّاً[٤]، فمعرفة الدلالة الحقيقيّة للمصطلحات النحويّة يكشف لنا تلك المصطلحات، ويبيّن لنا هويّتها الأصليّة، ومن أين أتت، وكيف نضجت واستقرت، مع بيان ما كان فيها من فروق في الاستعمالات المحدّدة لألفاظ، وترك ألفاظ أخرى، وهذا كلّه نابع أو متأتٍ من المفهوم لتلك الألفاظ التي أصبحت مصطلحات يُعتمد عليها، وبها يتمّ العبور والدخول إلى الأمور التي تحتاج الكشف والإيضاح؛ لأنّ المصطلحات تكشف ما كان مستوراً، وتُفهم ما كان غامضاً، فهي نبعت ووجدت من مفاهيم محدّدة، وهذه المفاهيم مرتبطة بالأصل الدلالي لتلك المصطلحات.

لقد أكّد بعض الباحثين[٤] على أنّ الوقوف على حقيقة دلالة تسمية المصطلح النحويّ، وتخصيصها تعتمد أمرين مهمّين، هما:

أولاً: إعتبار الشكل (اللفظ).

ثانياً: إعتبار المعنى (المناسبة).

وسنحاول توضيح الأمرين في ضوء مقوّمات المصطلح النحوي الكوفي.